ULUM ISLAMIYYAH | VOL. 22 | DECEMBER 2017 | Pp 86-95
ISSN 1675 – 5936 | E-ISSN 2289 - 4799
www.uijournal.usim.edu.my

Manuscript received date:
Manuscript acceptance date: 8th November 2017
Manuscript publication date: 15th December 2017

الطاغوت في ضوء القرآن

[*Taghut*: A Quranic Perspective]

Shawkat Taha Ali Talafihah
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia, Bandar Baru Nilai, Nilai 71800, Negeri Sembilan
Email: fauziamin@usim.edu.my

Associate Professor Dr. Mohd Fauzi Mohd Amin
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia, Bandar Baru Nilai, Nilai 71800, Negeri Sembilan
Email: fauziamin@usim.edu.my

Associate Professor Dr. Muhammad Mustaqim Mohd Zarif
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia, Bandar Baru Nilai, Nilai 71800, Negeri Sembilan
Email: mustaqim@usim.edu.my

الملخص

نظرا لأهمية موضوع "الطاغوت" الذي تناوله القرآن الكريم في غير موضع في سورة المكية والمدنية، فقد رأى الباحث أن يستنتج مفهوماً قرآنياً لهذا المصطلح، الذي انتشر استخدامه بين فئات أهل العلم والدعاة، ووقع الناس في فهمه بين الإفراط والتفريط. وفي تحديد المعنى الدقيق للطاغوت واسقاطات هذا المفهوم، على أرضية الدعوة والتعامل، فقد نهضت أسئلة فرضية لهذا البحث، ماهو الطاغوت، وماهي أشكاله، وماهي غايته من أتباعه وهل تتعدد وسائله، وما عاقبة التحاكم إليه، وقد اقتضت مادة البحث أن أقسمه إلى مبحثين المبحث الأول: تجلية مفهوم الطاغوت المبحث الثاني: غاية الطاغوت ووسائله. خاتمة: تتضمن خلاصة البحث. وتوضيح أيضا عن أنواع عبادة الطاغوت وعقوبة من عبد الطاغوت هي عقوبة دنيوية وخسارة مادية ونفسية، أتباع الطاغوت وعباده هم في نار جهنم خالدين فيها، هذا مصيرهم ومآلهم. ثم وضح الباحث في المبحث الثاني: غايات الطاغوت ووسائله: وظيفة الطاغوت وغايته : وسائل الطاغوت 1- استخدام العلم في نشر الضلال: 2- الحرب الإعلامية: 3- أسلوب الخداع والمراوغة: 4- تنفير الناس من دين الله وأوليائه. وضح الباحث أيضا نتيجة التحاكم بالطاغوت. وبعد هذه الجولة في ربوع الآيات الكريمات عن "الطاغوت"، من أهم النتائج التي برزت لنا من خلال هذا البحث هي الطاغوت هو كل ذي طغيان على الله، إما بقهر منه امن عبده، وإما بطاعة من ممن عبده، إنساناً كان ذلك المعبود أو شيطاناً، أو وثناً، أو صنماً، أو حاكماً بغير ما أنزل الله. الطاغوت اعتدى على سلطان الله في الحاكمية والتشريع والعبادة. أولياء الطاغوت تنالهم عقوبة الله-عز وجل-في الدنيا والآخرة، في الدنيا شقاء وعناء وذلة وفقدان للطمأنينة، وفي الآخرة عذاب في نار جهنم. وظيفة الطاغوت وغايته في الدنيا هو إخراج الناس من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر والتيه والضلال. نهى الله-جل في علاه-الناس أن يتحاكموا إلى شرع الطاغوت ومنهاجه.

كلمات مفتاحية: الطاغوت، الضلال، الشيطان، فرعون

Abstract

The word *thaghut* is mentioned in various places of the Quran, both in Meccan and Medinan verses. It is a term that is commonly used by scholars and preachers in various meanings and connotations ranging

© Universiti Sains Islam Malaysia | 2017

from a moderate understanding to the extreme interpretation. In this paper, an attempt is made to expound a detailed understanding of the meaning of the term *thaghut* in the Quran, its types and implementation in the field of Islamic propagation as well as its implications. In general, the paper is divided into two sections. The first part analyses the concept of *thaghut* while the second part discusses its methods and purposes. In its findings, the study presents a comprehensive concept of *thaghut* in the Quran that includes false deities and those who are against the rules of Allah whether in the form of demon, idol, human or others. Similarly, it also highlights the various methods and means of spreading false ideology of *thaghut* through knowledge, mass media, trickery and others. The various types of *thaghut* worship are also explained together with its implications both in this world and in the hereafter.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حمد أوليائه المخلصين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا وحبيبنا وقدوتنا محمد بن عبد الله معلم الناس صفاء العقيدة، وعلى أهله وأصحابه الذين آمنوا بالله وكفروا بالطاغوت، وعلى من سار على دربه واستن سنته وترسم خطاه إلى يوم الدين، وبعد: جاء القرآن الكريم ليقيم حياة مستقيمة ملؤها الخير والسعادة، قوامها توحيد الله، وعمادها اتباع رسول الله–صلى الله عليه وسلم–جاء القرآن بآيات واضحات تأمر بتوحيده وتنزيهه عن الشرك، وتنهى عن عبادة غيره واتباع الطاغوت، وحذر القرآن من خطره وبيّن أهدافه ومراميه وفضح أسراره والاعيبه، وحث القرآن المسلم على الإيمان بالله والكفر بالطاغوت حينها يكون المسلم قد تمسك بالعروة الوثقى التي لا تنفصم عراها. جاء القرآن الكريم ليبني حقيقة الصراع الدائر بين أولياء الله وأولياء الطاغوت، صراع بين الخير والشر، وهو صراع لا ينتهي، بدأ منذ أبينا آدم–عليه السلام–مع الطاغوت الأول ابليس حين رفض أمر الله وعصاه، وتعهد بنشر الضلال والفساد بين البشر.

ونظراً لأهمية موضوع "الطاغوت" الذي تناوله القرآن الكريم في غير موضع في سورة المكية والمدنية، فقد رأى الباحث أن يستنتج مفهوماً قرآنياً لهذا المصطلح، الذي انتشر استخدامه بين فئات أهل العلم والدعاة، ووقع الناس في فهمه بين الإفراط والتفريط. ليساهم في تجلية أبرز مايتعلق بهذا المفهوم من معان،لها ارتباط وثيق بقانون التدافع بين الحق والباطل. ومبيناً في الوقت ذاته غاية الطاغوت ووسائله، وطبيعة الصراع بين أهل الحق وأهل الطغيان.

وتكمن مشكلة البحث، في تحديد المعنى الدقيق للطاغوت واسقاطات هذا المفهوم، على أرضية الدعوة والتعامل مع أطراف قانون التدافع بين الحق والباطل. وبناء على ذلك فقد نهضت أسئلة فرضية لهذا البحث، ماهو الطاغوت، وماهي أشكاله، وماهي غايته من أتباعه وهل تتعدد وسائله، وما عاقبة التحاكم إليه؟ وقد اقتضت مادة البحث أن أقسمه إلى مبحثين هما تجلية مفهوم الطاغوت وغاية الطاغوت ووسائله. وخاتمة.

تجلية مفهوم الطاغوت

وللوقوف على مفهوم الطاغوت، ومدلولاته، فإنه لابد من الوقوف على تعريف معنى الطاغوت، عند أهل اللغة والاصطلاح. الطاغوت لغة: الجذر (طَغُوَ) وكذلك (طغى) مثله، فنقول: طغوت وطغيت طغياناً وطغواناً، والمعنى: جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر، وأطغاه المال: جعله طاغياً، والطاغية: صيحة العذاب، والبغي، والكفر، والطاغوت: الكهنة والشياطين. وأصل وزن (الطاغوت) هو: طَغَيوت على فعلوت ثم قدمت الياء قبل الغين محافظة على بقائها، فصارت طيغوت على وزن فلعوت ثم قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت طاغوت. والطاغوت كل رأس في الضلال، والطاغوت يكون للأصنام، والطاغوت يكون من الجن والانس، والطاغوت رئيس النصارى، والطاغية الجبار العنيد، والطاغية الأحمق المستكبر الظالم (Ibn Manzur. H1414)

الطاغوت اصطلاحاً: نذكر جملة من أقوال سادتنا علماء الأمة في معنى "الطاغوت" لنصل إلى تعريف جامع نافع–إن شاء الله تعالى–: الإمام الطبري–رحمه الله تعالى–قال: الطاغوت كل ذي طغيان على الله فعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، إنساناً كان ذلك المعبود، أو شيطاناً، أو وثناً، أو صنماً، أو كائناً ما كان من شيء. (Al-Tabari.2000). الإمام ابن قيم الجوزية–رحمه الله–قال: الطاغوت هو ما تجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع. (Ibn Al-Qayyim. 1991). الإمام الألوسي–رحمه الله–قال: الطاغوت يطلق على كل باطل من معبود وغيره.

(Al-Alusi. H1415). وذكر عن أقوال في الطاغوت منها الشيطان والكاهن والساحر وكل ما عبد من دون الله، والأصنام ثم قال: والأولى أن يقال بعمومه سائر من يطغى.(Al-Alusi. H1415). الإمام الطاهر بن عاشور–رحمه الله–قال: وأطلق لفظ الطاغوت في القرآن والسنة على القوي في الكفر أو الظلم، فأطلق على الصنم وعن جماعة الأصنام وعلى رئيس أهل الكفر مثل كعب بن الأشرف. (Ibn A'syur. 1984) ويعتبر ابن عاشور أن لفظة "الطاغوت" ما هي إلا من مصطلحات القرآن. (Ibn A'syur. 1984). في جين ذهب الإمام الشعراوي –رحمه الله–إلى التعريف الآتي: الطاغوت يطلق على المعتدي كثير الطغيان سواء أكان أناساً يعبدون من دون الله ولهم تشريعات، ويأمرون وينهون أم كان الشيطان الذي يغري الناس، أم كان حاكماً جباراً يخاف الناس شره، وأي مظهر من تلك المظاهر يعتبر طاغوتاً. (Al-Sya'rawi. H1418). أما الأستاذ سيد قطب– رحمه الله–فقال: الطاغوت هو كل سلطان لا يستمد من سلطان الله، وكل حكم لا يقوم على شريعة الله، وكل عدوان يتجاوز الحق، والعدوان على سلطان الله وألوهيته وحاكميته هو أشنع العدوان وأشده طغياناً، وأدخله في معنى الطاغوت لفظاً ومعنى. (Qutub. H1412).

هذه أقوال نفيسة وتعاريف قيّمة، وبعضها يصدق عليها الوصف أكثر منه للتعريف، فالتعريف لابد أن يكون جامعاً مانعاً لكل مفرداته، ورأيت أن تعريف الإمام ابن جرير الطبري–رحمه الله–أجمعها وأفضلها، ولو أضفنا له قيد الرضا من المعبود يكون أدق وصفاً (كل ما عُبد من دون الله وهو رضي لذلك) فإن سيدنا وحبيبنا عيسى عليه السلام قد عُبد من دون الله وهو غير راض بذلك. وحتى يستكمل التعريف حده،فإن الباحث يرى أن إضافة سيد قطب رحمه الله والمتعلقة،بالحكم بغير ما أنزل الله،هي إضافة لها قيمتها، إذ أن الأمة اليوم تعاني من استبدال سلطان اله تعالى بأنظمة وضعية، أسرف بعض الحكام بحصانتهم فيها من المساءلة، حتى زاد طغيانهم وجبروتهم. (الطاغوت: كل ذي طغيان على الله فعبد من دون الله وهو راض إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده، إنساناً كان ذلك المعبود، أو شيطاناً، أو وثناً، أو صنماً، ، أو كائناً ما كان من شيء،أو حكم بغير ما أنزل الله).

الطاغوت في الآيات القرآنية

قال دروزة،1383هـ: (وردت كلمة (طاغوت) في خمس سور هي: الزّمر، والنحل، والبقرة، والنساء، والمائدة، وأذكر الآيات مرتبات حسب نزول السور الكريمة: 1–قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ) (الزمر: 17:39). 2–قال الله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) النحل: 36:16. 3– قال الله تعالى: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) البقرة:2 :256. 4– قال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا) النساء: 60:4. 5– قال الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) النساء: 76:4. 6– قال الله تعالى: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ) المائدة: 60:5

وردت كلمة "الطاغوت" في القرآن الكريم ثماني مرات، في خمس سور هي: النساء وقد وردت فيها الكلمة ثلاث مرات، وسورة البقرة فقد وردت مرتين، في حين وردة مرة واحدة في المائدة، والنحل، والزمر.كما لاحظ الباحث انها وردت مرتين في السور المكية وست مرات في السور المدنية، ولعل في هذه إشارة إلى ظهور صور وأنماط جديدة من الطاغوت، في العهد المدني ناجم عن تراث اليهود، ودسائس المنافقين، فكانت الحاجة إلى بيان أولياء الطاغوت الجدد، ففي مكة لم تكن إلى فئة واحدة عبدة للطاغوت هم المشركون، وفي المدينة كانت الزيادة في اليهود والمنافقين، وثمة ملاحظة دقيقة ههنا، أن كلمة الطاغوت جاءت مفردة، للدلالة – والله أعلم– أن الطاغوت طريقه واحد وإن تعددت صورته. وقد قاس الباحث هذا الفهم على ماذهب إليه سيد قطب رحمه الله، في تفسير لم جاءت كلمة الظلمات بصيغة الجمع وأفردت كلمة النور، فقال: (إن الإيمان نور.. نور واحد في طبيعته وحقيقته.. وإن الكفر ظلمات.. ظلمات متعددة متنوعة. ولكنها كلها ظلمات. وما من حقيقة أصدق ولا أدق من التعبير عن الإيمان بالنور، والتعبير عن الكفر بالظلمة) (Qutub. H1412).

نَظْرة إجْماليّة لِلآيات

ULUM ISLAMIYYAH | VOL. 22 | DECEMBER 2017 | Pp 86-95
ISSN 1675 – 5936 | E-ISSN 2289 - 4799

إنّ الله سبحانه وتعالى قد أقام علينا الحجة في كيفية التعامل مع الطاغوت، سواء أكان معناه الأصنام أم الشيطان أم كان في معناه العام: كل ما يعبد من دون الله وهو راض، أو يتحاكم إليه، بينها القرآن الكريم واضحة جلية، فإن البراء من الطاغوت وأتباعه هو سبيل النجاة سيما وأن البراءة تقتضي التمسك بالعروة الوثقى، فكلمة التوحيد هي المنجية من درن الشرك بالله.

وقد بينت الآيات الكريمات، أن التحاكم إلى الطاغوت إنما هو تحاكم في صورته الحقيقية للشيطان، فينبغي الحذر فلا حكم إلا لله وما همّ الشيطان إلى أن يحرف الناس عن التحاكم لله إلى التحاكم للطاغوت بشتى صوره وأشكاله، وأن عبّاد الطاغوت الذين يسمعونه فيطيعون وينقادون له هم في كل عصر ومصر يسعون دون كلل أو ملل لمحاربة دين الله وأولياء الله وإن اختلفت مشارب عباد الطاغوت ورياتهم، إلا أنهم يتوحدون في الكيد لهذا الدين، لكن هذه الوحدة والاتحاد لن يفلح في مواجهة أولياء الله، فإن المولى عز وجل أعطى حكمه وبيّن أن العافية لأولياء الله، وأن الدائرة على أولياء الطاغوت — طال الزمن أو قصر– فالخيبة والخسران هي النتيجة الحتمية للطاغوت وأوليائه، وهي خسارة في الدنيا وخسارة في الآخرة، والبشرى كل البشرى لكل من كفر بالطاغوت وحاربه، فهم كما سماهم الله أولياءه، ومن كان الله وليه فلا خوف عليه ولا هو من المحزونين. هذا صراع مستمر بين أهل الحق وأهل الباطل، ولكل عدته وجاهزيته، وهو مستمر إلى يوم القيامة، والعاقبة للمتقين. وبعد هذه النظرة الإجمالية لمعاني الآيات نسوق أسباب النزول لبعض هذه الآيات حتى نعيش في كنفها بصورتها الكاملة، وننعم بأجوائها الحقيقية التي نزلت فيها، وفد عمدنا إلى ترتيب الآيات حسب التسلسل الزمني لنزول سورها.

أسباب نزول الآيات

في سورة الزّمر: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ) الزمر: 17:39. نزلت في زيد بن عمر بن نفيل، وأبي ذر، وسلمان الفارسي–رضي الله عنهم أجمعين–اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها في جاهليتهم واتبعوا أحسن ما صار من القول إليهم، وذكر ذلك الحافظ ابن كثير،1991 أيضاً وأضاف (أن الصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة وفي الآخرة). (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) البقرة:2 :256. عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا فأنزل الله تعالى (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ).(Ibn Kathir1991).

وفي سورة النساء: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا) النساء: 60:4. نزلت في منافق ويهودي اختصما، فدعا اليهودي المنافق للاحتكام عند رسول الله–صلى الله عليه وسلم، في حين أن المنافق دعا اليهودي إلى كعب بن الأشرف، فلما قضى رسول الله بينهما رفض المنافق الحكم وقال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب، فقدما إلى عمر–رضي الله عنه–وأخبراه ما حدث، فما كان من عمر رضي الله عنه إلا أن ضرب عنق المنافق وقال: هكذا أقضي بمن لم يرضى بقضاء الله ورسوله، فنزل جبريل–عليه السلام–وأخبر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأن عمر فرق بين الحق والباطل فسماه رسول الله من يومها بالفاروق. (Al-Alusi. H1415).

عبادة الطاغوت

سبق في تعريف الطاغوت أنه كل من عُبد من دون الله، وهو راض بذلك، فالطاغوت محل عبادة السفهاء، فالطاغوت يحلل الحرام ويحرم الحلال ويطاع في ذلك، وكلما زاد الاتباع له طاعة ازداد طغيانه، (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) الزخرف: 54:43. الطاغوت اعتدى على سلطان الله وألبس نفسه صفات الألوهية، فإن أطاعه الناس ورضوا بذلك فقد عبدوه، ويقول الشيخ الشعراوي رحمه الله،1418هـ: (والعبادة إنما هي طاعة العابد للمعبود فيما أمر به، وفيما نهى عنه، والطواغيت هم الذين يزينون لهم الشر والنفاق وأكل السحت).

أنواع عبادة الطاغوت

عبادة عملية: وتكون في الركوع والسجود للطاغوت، كأن يكون بشراً كما كان النمرود، أو صنماً كما كان هبل واللات، وعجل بني إسرائيل، وأتباع بوذا وعبدة الشياطين في زماننا. عبادة معنوية: وتكون في طاعة الطاغوت فيما يأمر به من منكرات وضلال، فهو يحلل الحرام ويحرم الحلال ويسنّ القوانين الوضيعة الجائرة المخالفة لشرع الله، فطاعة الطاغوت واقراره على جرائمه هي في حد ذاتها عبادة. وقد نهى المولى–جلّ وعزّ–عن عبادة غيره–سبحانه–وقد جاء هذا على لسان الأنبياء والمرسلين قال الله تعالى (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) 11:39، العبادة هي حق الله على العباد، ولا يستحق العبادة غير الله، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ) النحل:36:16. نعم الدعوة إلى الوحدانية واجتناب الطاغوت جامعة لكل معاني الرسالة التي جاء بها المرسلون، وهي دعوة واحدة من آدم إلى محمد عليهم أفضل الصلاة وأتم السلام.

عقوبة من عبد الطاغوت

أراد القرآن كسر تلك العلاقة بين الطاغوت وأوليائه الأتباع، من خلال ما ستؤول إليه الأحوال يوم القيامة، وأن هذه العلاقة ستتحول إلى عداوة وبغضاء وخصومة وبراءة ونكران، قال الله تعالى: (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ) البقرة:2: 166

هو خطاب وتنبيه وتحذير– أيها الناس: أعلنوا براءتكم من الطواغيت، من الشياطين والهوى، من الجبابرة والأكاسرة. وكونوا مع الله قبل أن تعض الأيادي ندماً يوم القيامة وحينها لا ينفع الندم. (وتبرأ المتبوعون من التابعين، وتقطعت بينهم الوصل، التي كانت في الدنيا، لأنها كانت لغير الله، وعلى غير أمر الله، ومتعلقة بالباطل الذي لا حقيقة له، فاضمحلت أعمالهم، وتلاشت أحوالهم، وتبين لهم أنهم كانوا كاذبين، وأن أعمالهم التي يؤملون نفعها وحصول نتيجتها، انقلبت عليهم حسرة وندامة، وأنهم خالدون في النار لا يخرجون منها أبدا، فهل بعد هذا الخسران خسران؟ ذلك بأنهم اتبعوا الباطل، فعملوا العمل الباطل ورجوا غير مرجو، وتعلقوا بغير متعلق، فبطلت الأعمال ببطلان متعلقها، ولما بطلت وقعت الحسرة بما فاتهم من الأمل فيها، فضرتهم غاية الضرر، وهذا بخلاف من تعلق بالله الملك الحق المبين، وأخلص العمل لوجهه، ورجا نفعه، فهذا قد وضع الحق في موضعه، فكانت أعماله حقا، لتعلقها بالحق، ففاز بنتيجة عمله، ووجد جزاءه عند ربه، غير منقطع). (Al-Sa'adi. 2000).

ولعل الباحث يوجز العقوبات بمايأتي:

1–عقوبة دنيوية وخسارة مادية ونفسية، والقارئ لقصص القرآن وعبر التاريخ يدرك، دون أدنى ملابسة، تلك الخسارة التي لحقت بالطواغيت وأتباعهم، فها هم قوم سيدنا صالح عليه السلام، حين اتبعوا تلك الفئة الظالمة الجائرة، اتبعوا (أشقاها) ورضوا بما فعل من جرم فصاروا أشقياء مثله، فعمّهم العذاب ونجى المؤمنون، وحين أصرّ جند فرعون على اتباعه وطاعته كانوا معه في الغرق والهلاك قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) النحل: 36:16. (فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ) بأبدانكم وقلوبكم (فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) فإنكم سترون من ذلك العجائب، فلا تجدون مكذبا إلا كان عاقبته الهلاك). (Al-Sa'adi. 2000). فهذه هي النتيجة الحتمية لعدم اجتناب الطاغوت، فالأمر سيؤول بهم قطعاً إلى الضلال فحينها يصبح الأتباع عبرة للمعتبر، فلينظر الأتباع، أتباع الطاغوت، في عاقبة أمثالهم من أتباع فرعون وهامان والنمرود وقارون وقوم صالح عليه السلام وغيرهم، فليس الخبر كالعيان، أنتم تسيرون سيرتهم وتحذون حذوهم فهذا مصيرهم ومآلهم.

2–أتباع الطاغوت وعباده هم في نار جهنم خالدين فيها، هذا مصيرهم ومآلهم، قال الله تعالى: (اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) البقرة: 257:2.

يا أتباع الطاغوت وعباده لن ينفعكم يوم القيامة أن تلقوا باللائمة على طواغيتكم بل إن رب العزّة–سبحانه–سيجمع بينكم وطواغيتكم في نار جهنم، قال الله تعالى: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) الأنبياء: 98:21. ويأتي القرآن ليصف أشرَّ الناس وأكثرهم ضلالاً وأوسعهم فسادا في الأرض، و يذكر من صفاتهم (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ) المائدة: 60:5. وليلحظ عباد الطاغوت بمن قرنوا من المواصفات (مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ) (وَغَضِبَ عَلَيْهِ)

(وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ) (وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ) فأي مكانة حازوها؟ وأي صفات جمعوها؟ هذا المنهج القرآني في بيان حال عُبَّاد الطاغوت وعقوبتهم في الدنيا والآخرة، والقرآن يمسك بزمامهم ويشدهم نحوه، يبعدهم عن أعداء الله وينفرهم منهم، يخوفهم بسوء العاقبة، يناقش عقولهم، ويزيل عنهم غبار التبعية، وصفاقة الهوى، وجهالة الرأي، وغبش النظر، لعلهم يتوبون إلى الله مولاهم الحق ويرجعون.

القرآن يحطم في نفوس عبَّاد الطاغوت أي قيمةٍ وكرامة لطواغيتهم، ينسفها من جذورها، يهز أركان نفوسهم وأعمدة قناعاتهم ليعيدهم إلى الفطرة المستقيمة والإيمان السوي. وعلى الجانب الآخر يقف من استجابوا لأمر الله واجتنبوا عبادة الطاغوت، فما مصيرهم وما جزائهم عند ربهم عز وجل.

أسباب الطغيان

أعاد الباحث خالد رمضان أسباب الطغيان في مقالته المنشورة على موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية الطغيان إلى أسباب داخلية، تتمثل بالعجب والغرور،والكبر والعلو، والحقد والحسد، ثم ذكر عوامل خارجية هامة تمكثت في :الملك والسلطة،المال والولد،غفلة الناس عن حقوقهم، وقبول الظلم. (http://www.tafsir.net/article/4672?ref=search 2016/9/26). وما توصل إليه الباحث خالد، لاشك أنه صحيح، إذ نفسية الطاغوت مركبة من خبائث الصفات، ورغائب النفس في السلطة وقوة، ولعله كان موفقاً حينما جعل قبول الناس للظالم، هو من أحد أسباب الطغيان. إذ سكوتهم جرأ الطواغيت عليهم.

وظيفة الطاغوت وغايته

إن وظيفة الطاغوت وعباده في هذه الدار الفانية، إنما رسم الله سبحانه قاعدتها العامة وخطوطها العريضة في قوله تعالى: (اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) البقرة:257:2. نعم هي وظيفة واضحة المعالم: إخراج الناس من نور الإسلام وهدى الرحمن إلى ظلمات الكفر وتيه الطغيان في عملية مستمرة لا يحدها الزمان في الدنيا، وهو صراع دائم يرفع رايته عُبّاد الطاغوت في كل زمان ومكان، ويتناقل هذه الراية جيل بعد جيل، يواجهون المسلمين بحيلهم وحبائلهم ومكرهم وكيدهم، ليفتنوهم عن الطريق. وهيهات. (الله متولى شئون المؤمنين وناصرهم، يخرجهم من ظلمات الشك والحيرة إلى نور الحق والاطمئنان، والكافرون بالله تستولى عليهم الشياطين ودعاة الشر والضلال، فهم يخرجونهم من نور الإيمان الذى فطروا عليه والذى وضح بالأدلة والآيات إلى ظلمات الكفر والفساد، هؤلاء الكافرون هم أهل النار مخلدون فيها). (Lujnah Ulama' Al-Azhar.1995).

قد حاول ذلك منذ زمن عُبّاد يغوث ويعوق، وجهد في ذلك فرعون، وبذل طاقته أبو جهل، واليوم تطل علينا الجاهلية المعاصرة تكمل الدور وتمسك بالراية لتخرج الناس من نور الفضيلة إلى ظلمات الرذيلة ... من نور الإيمان إلى ظلمات الكفر .. من حكم الله إلى حكم الطاغوت .. يبذلون ما استطاعوا ليصدوا المسلمين عن السبيل (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاء وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) آل عمران:99:3

والمتأمل في الدّور الذي يلعبه الطاغوت وعبّاده يجد هناك فارقاً بين إرادتين .. ذلك أن الطاغوت وعبّاده يبذلون الجهد ليقروا في واقع الحياة حكم الطاغوت ليكون هو الشرعة والمنهاج ولذلك ترى من ملك السطوة والسيطرة منهم من يأطر الناس عليها أطراً، كما تفعل كثير من قوى الطغيان حينما تتدخل في شؤون المسلمين، وتفرض سياستها الغاشمة، وتعادي كل الدعوات، والحركات الإسلامية، وتنكل بالمسلمين بشتى أنواع التنكيل، لتقف سداً منيعاً امام حكم الله، بل وبلغ بها الصلف اليوم أن تتدخل في مناهج التربية الإسلامية في كثير من بلدان العالم الإسلامي، فتحذف وتضيف، وتصحح وتضعّف، وقد وصل بها الأمر مداه إلى أن تعكف على تأليف قرآن جديد يتناسب ومقاييس التدين عندهم، وليس العجب منها إنما العجب ممن يرتمي في أحضانها ملبياً رغباتها مطيعاً لأوامرها.

أما الطاغوت الذي هو الشيطان فإرادته أبعد من مجرد التحاكم، إنه يرمي إلى الغاية الأسمى عنده والتي من أجلها نذر حياته، وهي أن يرمي من استطاع من البشر في الكفر بالله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا) النساء:60:4، وأي ضلال أبعد من ضلال الكفر بالله.

وسائل الطاغوت

إن معركة الطاغوت مع أولياء الله لم تنته، ذلك أن الطاغوت مائل بجنده وأتباعه إلى أن يشاء الله، وأولياء الله راسخون في الأرض إلى أن يشاء الله، فإذا كانت هذه هي طبيعة الصراع فإن على أولياء الله أن يفهموا خصمهم وعدوهم، ومن أهم ما يجب التنبه له هو أساليب ووسائل الطاغوت لتحقيق أهدافهم المريضة في الصد عن سبيل الله وغرق أهل الإيمان في وحل المعصية والعصيان ... فقد وردت العديد من الوسائل في القرآن الكريم تعرض لها لنعلم حجم المكر فنتقيه، وعظيم التخطيط فنقابلهم بمثله وأشد:

1. استخدام العلم في نشر الضلال:

وهذا جلي واضح في قول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً) النساء:51:4. فها هم قد آتاهم الله علماً، وكان من المفترض أن يعصمهم هذا العلم عن الزلل والوقوع في الشرك، وأن يكون العلم دافعاً لهم للإيمان، لكنهم على النقيض من ذلك سخروا علمهم للإضلال والصد عن الهدى، فلما سألت قريش اليهود: أنتم على علم بالكتاب فأينا الحق، نحن أم محمد؟ –صلى الله عليه وسلم–كان الجواب من اليهود–وبلا تردد–إنكم أنتم يا عباد الوثن أهدى سبيلاً من محمد وصحبه.

(أَلَمْ يَنْتَهِ عِلْمُكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ أَوْ لَمْ تَنْظُرْ إِلَى حَالِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ كَيْفَ حُرِمُوا هِدَايَتَهُ؟ فَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَنْصُرُونَ أَهْلَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِينَ بِنُبُوَّةِ أَنْبِيَائِهِ، وَحَقِّيَّةِ أَصْلِ كُتُبِهِمْ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَيْ: لِأَجْلِهِمْ وَفِي شَأْنِهِمْ وَالْحِكَايَةِ عَنْهُمْ: هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا، أَيْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْمُشْرِكِينَ أَهْدَى وَأَرْشَدُ طَرِيقًا فِي الدِّينِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مُحَمَّدًا . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..).(Ridha. 1990).

2. الحرب الإعلامية:

إن وفد يهود المدينة قد ذهب إلى مكة ليعلنها مدوية أن المشركين على حق، وأن المسلمين على باطل–دون أدنى حرج– بل عمدوا إلى ترويج تصريحهم، وفكرتهم وأقنعوا أهل الكفر بها، وما أشبه اليوم بالبارحة، فأتباع الطاغوت ينشرون ضلالهم عبر وسائل الاعلام الضالة فالفضائيات والصحف والاذاعات والمؤتمرات ،تطل علينا بتصريح أو تلميح مفاده أن المسلمين أهل ضلال وتخلف وإرهاب، وأنهم محور شر وخطر على البشرية، ولابد من صدهم ووقف مدّهم ومحاربتهم!!!

3. أسلوب الخداع والمراوغة

قال الله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) العنكبوت: 12:29

إنه الخداع والمكر والمراوغة ،يستعمله أولياء الطاغوت، ليسوقوا فكرتهم الضالة ومبدأهم الخبيث .. إنهم يخدعون: سنتحمل عنكم تبعات الكفر، ووزر الأعمال، وما عليكم سوى اتباع منهجنا في الكفر والضلال .. إنها وعود خادعة .. إنه مفهوم الحماية الذي يوهم به أهل الطاغوت الناس، .. وتجد في زماننا أن الدول المعادية للإسلام وأهله تعلن حمايتها الدولية، وحصانتها بل وتمنح جنسيتها لأولئك الكتّاب الذين خرجوا عن ضوابط الدين ،وثوابت الإسلام. (بعد أن ذكر فيما سلف قسر الكفار للمؤمنين على الكفر، وإلزامهم إياه بالأذى والوعيد– أردف ذلك ذكر دعوتهم إياهم إليه بالرفق واللين حينا آخر بنحو قولهم لهم: لا عليكم بذلك من بأس، إننا نحتمل تبعات ذنوبكم، ثم ردّ مقالتهم ببيان كذبهم، فإن أحدا لا يحمل وزر أحد يوم القيامة، ثم ذكر أن المضلين يتحملون تبعات ضلالهم وإضلالهم، ويكون لهم العذاب على كلا الجرمين.). (1946.Al-Maraghi)

4. تنفير الناس من دين الله وأوليائه

هي وسيلة استخدمها أولياء الطاغوت قديماً وحديثاً، يحاولون تشويه صورة أولياء الله، والدعاة إلى الإسلام بطرق شتى .. وها هو حبيبنا المصطفى–صلى الله عليه وسلم–وهو سيد الدعاة، وقائد أولياء الله لم يسلم من اتهاماتهم الباطلة، فوصفوه بالسحر، والكهنة، والجنون، سعياً منهم في إبعاد الناس عم منهج الله، (نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا) الإسراء: 47:17

ويستمر مسلسل التشويه، والتنفير، ليصف الدعاة اليوم بالإرهابي ،أو الظلامي، أو الرجعي...بل تعدى الأمر إلى وصف الإسلام بهذه الصفات،وترويجه على أنه دين الدم والسيف،مع أن التاريخ والواقع يشهدان عكس ذلك،فقد كنا رحماء إبان

الفتح،ومعتدلين حين الدعوة.(ولا يُعرف في تاريخ الفتوحات الإسلامية أنها أبادت شعوبا كما فعلت أمم أخرى من أجل إحلال المسلمين مكانهم، أو استعبدت شعوبا كما فعل الآخرون عن طريق الغزو والعدوان وجلبها المستعمرات الجديدة وبيعها في الأسواق كما تباع الأنعام لاستغلالها أبشع استغلال، وإنما كانت الشعوب تسلم عن طواعية، فمن أبى فإنه يعيش على دينه كما نرى ذلك في كثير من بلاد العرب وغيرها مثل الشام: " سوريا ولبنان والأردن وفلسطين والعراق ومصر واليهود في المغرب العربي والسودان ". أما الهند وبلاد فارس والأندلس وغيرها فإن الفتح الإسلامي اعترف أيضا بالآخر ولم يرغم أي واحد على الدخول في الإسلام، في حين عندما انتصر ملوك شبه الجزيرة النصارى أطبقوا على إبادة المسلمين وإحراق كتبهم وتراثهم وتحويل مساجدهم إلى كنائس، إذ لم يبق في إسبانيا ولو كتاب واحد من ملايين الكتب التي ألفها واقتناها ونسخها علماء الأندلس ووراقوها ونساخوها. . أما الكتب التي هي بمكتبة الإسكوريال فهي مغربية الأصل قرصنها قرصان فرنسي وتسلط عليه الإسبان فجعلوها في دير الإسكوريال وقد أتلف جلها بالحرق وغيره!!).(الهراس،د.ت)

إيذاء أولياء الله والتنكيل بهم

هو أسلوب يتوارثه الطاغوت وأولياؤه على مدار العصور فأصحاب الأخدود مازالوا أعلاماً على ذلك، وسادتنا الأنبياء–عليهم الصلاة والسلام–تعرضوا للأذى والقتل، قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) آل عمران: 21:3. واليوم مازالت أفواج أولياء الله تساق إلى سجون الطاغوت، وعلقت رقابهم على مشانق البغاة.

إنها أساليب متنوعة لا يحدها حد ولا يضبطها ضابط، فالغاية عندهم تبرر كل وسيلة، والهدف عندهم يجيز كل جريمة ...(بين هنا ما أعده للرافضين الدخول في هذا الإسلام. الذين يقتلون الأنبياء، ويقتلون دعاة الحق. وأمر رسوله عليه السلام أن يبشر هؤلاء بالعذاب الأليم، وبحبوط العمل في الدنيا والآخرة، وأنهم لا ناصر لهم. وأول ما ينطبق عليهم هذا، اليهود، فهم الذين اجتمعت لهم هذه الخصال على أقبح ما يكون، ويدخل في التهديد كل من كان كذلك. ويفهم من هذه الآيات أن الكفر بآيات الله يرافقه الجرأة على الأنبياء والعلماء ودعاة الحق.).(H1415.Hawa).

التحاكم إلى الطاغوت

من المدلهمات العظيمة في تاريخ البشرية، تنكر البشر لخالقهم ورفضهم لشرعه ومنهاجه .. رفضوا منهج الله وركنوا إلى منهج الطاغوت ليتحاكموا إليه في كل شأنهم..تحاكموا إليه وعندهم العلم بحرمة ذلك أو جهلوا به.

نعم، من البشر من تحاكم إلى الطاغوت وأعرض عن حكم الله وهو يعلم أن حكم الله فيه صلاح الدنيا والآخرة كما فعل أهل النفاق (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا) النساء:60:4، فالمنافقون يعلمون أن التحاكم إلى الطاغوت يغضب الله ورسوله ومع ذلك مضوا فيه لما يحقق لهم من مكاسب دنيوية زائفة، وبما يتناسب مع شهواتهم ونزواتهم، وبما يتوافق نظرهم المنحرفة وعقولهم المغلقة. هذا صنف، وصنف آخر من الناس تحاكم إلى الطاغوت واتبعه جهلاً بحقيقته، وظناً منهم أنهم قد احتموا بركن شديد، وحصن منيع، وما علموا أنهم استندوا إلى جدر مائلة وحصون واهية ما تلبث أن تهوي بهم في نار جهنم.

لم تكن الآية هنا لتقف عند خصوص السبب لتقصد كعب بن الأشرف، إنما هي عامة لكل من أقصى حكم الله عند منصة الحكم وقد أرشدنا الله–عز وجل–إلى المنهج الذي نتعامل به مع الطاغوت وهو الكفر به وبمنهجه في لفظة لا تحتمل المداهنة والمداراة (وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ) فليس في هذا الأمر أنصاف حلول، فاعقد مكبك أيها المسلم على الكفر بالطاغوت والايمان بالله، فإن المسلم لا يرضى إلا حكم الله أن يسود وشريعته أن تحكم.

نتيجة التحاكم بالطاغوت

يقول الشيخ الشعراوي –رحمه الله –،1984:(ويختم الحق —سبحانه–الآية: (وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) فهُما حين يتحاكمان إلى الطاغوت وهو "كعب بن الأشرف "(يقصد المنافق واليهودي) وبعد ذلك يقضي لمن ليس له حق، سيغري مثل هذا الحكم كل من له رغبة في الظلم أن يظلم ويذهب له ليتحكم إليه! فالضلال البعيد جاء هنا لأن الظلم

سيتسلسل، فيكون على القاضي غير العادل وزر كل قضية يحكم بها بالباطل، هذا هو (معنى الضلال البعيد) وليت الضلال يقتصر عليهم، ولكن الضلال سيكون ممتداً)

الخاتمة

وهكذا، وبعد هذه الجولة في ربوع الآيات الكريمات التي تحدثت عن "الطاغوت"، آن لنا أن نسطر أهم النتائج التي برزت لنا من خلال هذا البحث:

1. الطاغوت هو كل ذي طغيان على الله، فعُبد وهو راض، إما بقهر منه امن عبده، وإما بطاعة من ممن عبده، إنساناً كان ذلك المعبود أو شيطاناً، أو وثناً، أو صنماً، أو حاكماً بغير ما أنزل الله، أو كائناً ما كان من شيء.
2. الطاغوت اعتدى على سلطان الله في الحاكمية والتشريع والعبادة، وعبادة الطاغوت إما عبادة على الحقيقة، وإما عبادة بالطاعة والاتباع، وكلاهما جريمة خطيرة، فقد نهى الله عز وجل عن عبادة غيره–سبحانه–وأمرنا باجتناب الطاغوت.
3. أولياء الطاغوت تنالهم عقوبة الله عز وجل في الدنيا والآخرة، في الدنيا شقاء وعناء وذلة وفقدان للطمأنينة، وفي الآخرة عذاب في نار جهنم، وجاء القرآن الكريم ليحطم في نفوس عبّاد الطاغوت كل قيمة وكرامة ومعنى لطاغوتهم. وبالمقابل فإنّ الله تعالى سيكرم أولياءه ممن آمنوا بالله وكفروا بالطاغوت فلهم سعادة الدنيا والآخرة.
4. وظيفة الطاغوت وغايته في الدنيا هو إخراج الناس من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر والتيه والضلال، فالطاغوت وأذنابه همّهم نشر الضلال والفساد وإبعاد الناس عن خالقهم وعن التحاكم إلى شرع الله، في حين يجتهد الطاغوت بجذب الناس لطاعته والتحاكم لشرعه وقانونه ويستخدم الطاغوت وسائل وأساليب متعددة لتحقيق أهدافه، وهي وسائل قائمة على علم واهتمام وتخطيط.
5. نهى الله–جل في علاه–الناس أن يتحاكموا إلى شرع الطاغوت ومنهاجه، لأن الحاكمية لا تكون إلا لله، فالتحاكم إلى شرع غير شرع الله تحاكم إلى الطاغوت، وهذا التحاكم الفاسد يجلب الشقاء للبشرية في دنياهم، والخسران العظيم في الآخرة.
6. للطاغوت أولياؤه الذين يعملون تحت أمره وطاعته، ولابد لأهل الإيمان أن يقفوا لمواجهة الطاغوت وإحباط أمره، وبيان ضعفه وتعريته، وهذا صراع قائم منذ الطاغوت الأول إبليس حين رفض أمر ربه للسجود لآدم–عليه السلام– فهو صراع مستمر متجدد إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، ولابد أن يدرك الناس هنا أن الحق واحد لا يتجزأ وأن الباطل ظلمات كثيرة .. وهذا الصراع مآله ومنهاه محسوم لأهل الإيمان وأولياء الله، ولكن المطلوب من أولياء الله التمسك بالكتاب والسنة وعوامل النصر وضمانات الظفر من الوحدة والتماسك وحسن الصلة بالله.
7. انقسم الناس في التعامل مع الطاغوت إلى متطرف غال متشدد وبين متساهل متراخ مائع، وبينهما معتدل وسطي مدرك لحقيقة الأمر، فلا إفراط ولا تفريط، ولا ميوعة ولا غلو، فالمغالون كفروا حتى فجّروا والمتساهلون ذابوا حتى ماع مفهوم الطاغوت عندهم، في حين أن أهل الاعتدال ذهبوا إلى تطهير القلب من غير الله والبراءة من حكم الطاغوت، وأن الإصلاح إنما يكون بالحكمة والموعظة الحسنة مع عدم الإقرار للطاغوت بظلمه، بالإضافة إلى حرمة الدم المسلم ومال المسلم وعرض المسلم.
8. هذا الطاغوت له أشكال متعددة وألوان متجددة لذا يجدر الحذر منه، فالشيطان والساحر والكاهن ومدعي علم الغيب والصنم والوثن ومن يدعي الألوهية لنفسه، ومن يحكم بغير شرع الله .. هؤلاء كلهم طواغيت ادعوا لأنفسهم حق الحاكمية، والحاكمية من خصوصيات الألوهية

هذه بعض النتائج التي حصلنا عليها من خلال هذا البحث، والقارئ الكريم سيجد غيرها في البحث، فكلام الله–عز وجل–ونظم القرآن فيه من الأسرار والدرر المكنونة، وهي دعوة لقراءة البحث كاملاً وعدم الاقتصاد على الخاتمة. هذا جهدنا بذلنا فيه ما استطعنا، فما كان من سداد فهو توفيق من رب العزّة–سبحانه–وما كان غير ذلك فمرده البشرية القاصرة، ونسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن وخاصته. والحمد لله رب العالمين

References

Al-Alusi. Syihabu Al-Din Mahmud Bin Abdullah Al-Husaini, 1415H, *Ruh Al-Ma'ani Fi Tafsir Al-Quran Al-A'zim.* Beirut: Darul Kutub Al-I'lmiyah.

Al-Bukhari. Muhammad Bin Ismail Abu Abdullah, 1422H, *Al-Jami' Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar Min Umur Rasulillah SAW,* 1St Edition. Dar Tawqu Al-Najah.

Ibn A'syur. Muhammad Al-Tahir Bin Muhammad Bin Muhammad Tahir, 1986, *Al-Tahrir Wa Al-Tanwir*, Tunis: Al-Dar Al-Tunisiyyah.

Ibn Qayyim Al-Jawziah. Muhammad Bin Abi Bakar, 1991, *I'lam Al-Mawqie'n A'n Rabbilalamin,* Beirut: Darul Kutub Al-Ilmiah.

Ibn Kathir. Abu Al-Fida' Ismail Bin Umar Bin Kathir Al-Qursye, 1999, *Tafsir Al-Quran Al-A'zim,* Dar Al-Tayyibah Lil Nasyar Wa Tauzi'.

Ibn Manzur. Muhammad Bin Mukram Bin A'li, Abu Al-Fadl. 1414H, *Lisan Al-A'rab*, cetakan ke3, Beirut: Dar Sadir.

Hawa. Saed, *Al-Asasi Fi Al-Tafsir,* Cairo: Darul al-Salam.

Darwazah. Muhammad Izzat,1383H, *Al-Tafsir Al-Hadith,* Cairo: Dar Ihya' Al-Kutub Al-A'rabiyyah.

Ridha. Muhammad Rasyid Bin Ali, 1990, *Tafsir Al-Quran Al-Hakim (Tafsir Al-Manar),* Al-Haiah Al-Masriyyah Al-A'mmah Lil Kutub.

Al-Sa'adi. Abdul Rahman Bin Nasir Bin Abdullah, 2000, *Taisir Al-Karim Al-Rahman Fi Tafsir Kalam Al-Manan,* Cetakan1, Muassasah Al-Risalah.

Al-Sya'rawi. Muhammad Mutawalli, 1418H, *Tafsir Al-Sya'rawi,* Matabi' Akhbar Al-Yaum.

Al-Tabari. Muhammad Bin Jarir Bin Yazid, 2000, *Jami' Al-Bayan Fi Ta'wil Al-Quran*, Cetakan1, Muassasah Al-Risalah.

Qutub. Sayyid Qutub Ibrahim, 1412H, *Fi Zilal Al-Quran*, Cetakan17, Beirut: Dar Al-Syuruq.

Lujnah Min Ulama Al-Azhar, 1995, *Al-Muntakhab Fi Tafsir Al-Quran Al-Karim*, Cetakan18, Cairo: Muassasah Al-Ahram.

Al-Maraghi. Ahmad Bin Mustafa, 1946, *Tafsir Al-Maraghi*, Cetakan 1.

Muslim. Al-Hajjaj Abu Al-Hasan An-Naisaburi, *Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar Binaqli Al-A'dli An Al-A'dli Ila Rasulillah,* Beirut: Darul Ihya' Al-Turath Al-A'rabi.

Al-Harasi Abdul Salam. *Al-Islam Deen Al-Wasatiyyah Wa Al-Fadhail Wa Al-Qiyam Al-Khalidah*, t.t, t.c.